



## عتبات العنوان في روايات نجيب محفوظ - زقاق المدق أنموذجا -

دادوة حضرية نبية

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية  
وهران – الجزائر

[dadouanebia@yahoo.fr](mailto:dadouanebia@yahoo.fr)

*Received: 22 Nov. 2014,*

*Revised: 1 Dec. 2014, Accepted: 30 Dec. 2014*

*Published online: 1 Jan. 2015*

---



# عتبات العنوان في روايات نجيب محفوظ – زقاق المدق نموذجا –

دادوة حضرية نبية

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية  
وهران – الجزائر

## الملخص

ارتكزت مجمل أعمال نجيب محفوظ على الاختيار الدقيق للعنوان. فالعناوين المختارة، ذات دلالات تاريخية واجتماعية، تعرفنا بتاريخ وواقع المجتمع المصري، مما جعل النقاد يصنفونه ضمن قائمة الأدباء الواقعيين. من خلال هذه الدراسة سوف نحاول الاقتراب من عنوان إحدى روايات أديب نوبل: زقاق المدق، معتمدين على المنهج السيميائي

الكلمات المفتاحية: نجيب محفوظ، زقاق المدق، العنوان، السيميائية.



## Thresholds title in the Novels of Naguib Mahfouz Zaqaq El Madaq

**Dadoua Hadhria Nabia**

Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (CRASC)

ORAN - Algeria

### **Abstract**

The titles of the works of Naguib Mahfouz have been carefully chosen . They have socio-historical indications that tell us about the history and daily life of Egyptian society which prompted literary critics to classify Naguib Mahfouz among the realist writers. Through this study, we try to analyze the title of one of these novels : Zaqaq El Madaq based on the semiotic method.

**Keywords:** Naguib Mahfouz, Zaqaq El Madaq, title, semiotics

# عتبات العنوان في روايات نجيب محفوظ - زقاق المدق أنموذجا -

## دادوة حضرية نبية

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية  
وهران - الجزائر

### مقدمة:

حسين: " فإنك لا تكاد تسمعه وتنتطق به، حتى تتبين أنك مقبل على كتاب يصور جوا شعبيا قاهريا خالصا. فهذا العنوان يوشك أن يحدد موضوع القصة و بيئتها." <sup>١</sup>. فزقاق المدق هو حي شعبي من أحياء القاهرة القديمة، زاره نجيب محفوظ وجلس في مقهاه الذي صوره في الرواية باسم "قهوة المعلم كرشة" <sup>٢</sup> وهو من الشخصيات المذكورة في الرواية، والتي قد تعرف نجيب محفوظ على بعضها في الواقع، وسمع من أهل الزقاق عن باقي الشخصيات. فالعنوان إذن، مرتبط بالنص، ولا يمكن اختيار عنوان آخر له، وإلا وقع اختلال، فكل الرواية تتحدث عن أهل الزقاق، سواء من بقي وفيها له، أو من خرج ثم رجع، أو فكر في الرجوع مثل حميدة.

### ١. العنوان في روايات نجيب محفوظ بين التعدد والتنوع:

يعدّ نجيب محفوظ واحدا من الأدباء الذين اهتموا كثيرا بعناوين رواياتهم، معتمدا في بعضها، الأسماء التي تخلد الحضارة الفرعونية مثل "رادوبيس"، "كفاح طيبة" و"خوفو" التي تحولت بعد مشورة الدكتور سلامة موسى إلى "عبث

تتخذ هذه الدراسة السيميائية من عنوان رواية "زقاق المدق" مدخلا لها، قبل التطرق إلى المحتوى الذي يفرض علينا حتما، دراسة المكان والزمان والشخصيات: "فبعض العناوين الأدبية تتكون من كلمة تطوي على افتقار ذاتي إلى ما يخصصها، إن وصفا وإن إضافة. فمثل هذه العناوين تلعب أعمالها الأدبية عمل الصفة أو المضاف إليه، فيصبح للعنوان -و الحال هذه- موقعين سيميوطيقيين: موقع تؤسسه نصيته المثقلة كعنوان، وآخر يؤسسه عمله المعنون به، إذ يخصصه أو يفسره في كل لحظة من لحظاته." <sup>٣</sup>

فالعنوان هو الواجهة التي يمكن من خلالها الاطلاع على الرواية، من دون قراءتها. فهو يمكننا حتما من التعرف، ولو قليلا عن اتجاه الرواية، وما إذا كان الكاتب متأثرا بعمل آخر، كتب من قبل، باللغة نفسها، أو بأي من اللغات الأخرى. فمن خلال اختيار العنوان الدال على فكرة، أو معنى نجد القارئ ينجذب نحو الكتاب ليشتريه.

أما عنوان الرواية التي نحن بصدد دراستها «زقاق المدق»، فيوحي بالجو الشعبي الذي عودنا نجيب محفوظ على تقديمه. وبرأي الدكتور طه

٢- طه حسين، نقد وإصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦، ص. ١٧.

٣- جمال، الغيطاني، شريط مصور حول زقاق المدق، قناة دريم المصرية، يوم ٢-١٠-٢٠١٠، على الساعة ١٦.

١- محمد فكري، الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال. دراسة أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص. ١٢٥.

بين هذه العناوين: "الحرافيش"، و"خان الخليلي" التي تحدثنا عن حي من أحياء مصر القديمة التي لطالما تردد عليها الأديب، وتعرّف فيها إلى أشخاص جسدهم في رواياته، وكذا الأمر بالنسبة إلى الثلاثية المتكونة: "بين القصرين، قصر الشوق والسكرية".

لقد أفرد جيرار جينيت كتابين (اطراس وعتبات)، تحدث فيهما عن العتبات النصية، والتي يعرفها بكل ما أحاط بالنص الداخلي، من غلاف وعنوان وإهداء، مما يهتدي به القارئ إلى فهم المضمون، عندما يبدأ في قراءته. فالعنوان كما عرفه لوإتش هوك: "مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طالع النص لتعيينه، وتعلن عن فحواه، وترغب القراء فيه".<sup>٦</sup> فالإعجاب أحيانا، يكون قبل قراءة الكتاب، وبالتالي، فهو يمكن من «إقامة علاقة بين النص ونفسه؛ أي بين العمل الأدبي باعتباره نصا جديدا، وبين صورته لدى القارئ باعتباره نصا أدبيا رسميا، ومعتمدا".<sup>٧</sup> فالصورة تكونت لدى القارئ بعد أن اطلع على العتبات النصية التي يعدّ العنوان أحد أبرز مكوناتها". وإذا كان العنوان أول عتبة تصادف القارئ، فإنه آخر علامة توشح النص بعد أن تكتمل صورته. وهذا هو وجه الاختلاف بين أسماء الأشخاص، باعتبارها علامات أعلام، وعناوين النصوص بصفاتها علامات كيان: فالأولى تعريفية استباقية، والثانية إشارية إلحاقية تنبّه لتفاصيل الهوية.<sup>٨</sup>

توجد، في غالب الأحيان، علاقة افتراضية بين العنوان والنص الروائي، تدرج العلاقة ضمن طبيعة النص وما يحتويه من أحداث، وما يكمن داخل العنوان من معان، مرتبطّة بالسياق الحكائي، مما يبلغ عن التواصل الموجود بين النص

الاقدار". يقول نجيب محفوظ: "إلى أن أعطيته رواية" "خوفو" قال لي: هذه رواية في مستوى يمكن أن ينشر، لكن اسم "خوفو" لم يعجبه، رغم أن له ابنا اسمه "خوفو"، واقترح عليّ أن أسميها "عبث الأقدار"، وقد نشرها لي في كتاب وزعه على المشتركين في المجلة الجديدة".<sup>٩</sup>

فالإبداع الأدبي عند نجيب يظهر من اختلاف عناوين رواياته، من فترة زمنية إلى أخرى، ومن نمط عنواني لمجموعة روائية إلى آخر؛ فتجد على سبيل المثال عناوين تعتمد الثنائيات والمفارقات، على منوال "بداية ونهاية"، أين استطاع العنوان بالتلاحم مع النص أن يحقق: "مسألتين، الأولى: نمو النص انطلاقا من بذرة رعاها الكاتب بدقة وهو ما دعونه بالدينامية، والثانية: دورية الحكاية حيث البداية تعكس النهاية وتؤكدّها، الأولى مرآة للثانية، والثانية استمرارية للأولى".<sup>١٠</sup> بالإضافة إلى روايات مثل: "السمان والخريف"، و"اللس والكلاب"، و"حديث الصباح والمساء"، وغيرها، مما أبدعه الفنان نجيب محفوظ. في حين تبدو بعض العناوين حاملة لمضامين مخبأة داخل كلمة واحدة مثل "السراب"، و"الشحاذ"، و"الحرافيش"، و"الطريق"، و"المرايا".

كما نتبيننا عناوين أخرى، عن محاور سياسية مرتبطة بالواقع المصري، خاصة ما بعد ثورة ١٩٥٢ مثل "حضرة المحترم"، "قلب الليل"، "عصر الحب"، "التنظيم السري"، "باقي من الزمن ساعة"، "يوم قتل الزعيم"، "أفراح القبة"، "العائش في الحقيقة"، "حكايات حارتنا"، و"حب تحت المطر". كما اعتمد في عناوين أخرى، وهي كثيرة أسماء أمكنة، أو أحداث عرفتتها مصر القديمة؛ أي المنطقة الفاطمية التي ولد فيها نجيب محفوظ، وظل مرتبطا بها إلى أواخر أيام عمره، مما ألهمه الكثير من الأفكار الروائية. ومن

٦- محمود، الهيمسي، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، الموقف الأدبي، دمشق، ع. ٢١٢، ١٩٩٧، ص. ٢١١.

٧- محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، دراسات أدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص. ١٢٧.

٨- عامر، الحلواني، سيميائية الأرض والهوية في قصيدة «حصار» لنوزية العلوي، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج. ٢٩، ١٩٩٨، ص. ٦٩-٧٠.

٩- صلاح، فضل، نجيب محفوظ والرواية التاريخية، الرواية والتاريخ، مجموعة باحثين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ٢٠٠٦، ص. ١٨٩.

١٠- سعيد، الحنصالي، بداية ونهاية. قراءة وتحليل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٥، ص. ١٩.

والعنوان، على المستوى الجمالي خاصة. فالعنوان هو من اختيار الكاتب، يقترحه إما قبل الانتهاء من كتابة الرواية، أو بعد الانتهاء منها.

يحدثنا أديب نوبل في رواية «خان الخليلي» عن: «البرجوازي الصغير أحمد أفندي عاكف، الذي لقيه الأستاذ نجيب محفوظ في «خان الخليلي» فالتقط لنا صورته الجسمية والنفسية، بل والاجتماعية أيضاً.»<sup>٩</sup> وفي الثلاثية المتكونة من «بين القصرين، قصر الشوق والسكرية» لا يقف نجيب محفوظ: «عند عرض انحلال إرث الماضي ومجتمع السطوة الأبوية وإنما يذهب في ذلك إلى محاولة تخطي جيله وحدود بيئته انتمائه الأصلي.»<sup>١٠</sup> هذا بالإضافة إلى اختيار أسماء مقاهي وعوامات وبنسيوهات في روايات أخرى، مثل روايات: «الكرنك»، «قشتمر»، «ثرثرة فوق النيل». في رواية «ميرامار» يعرفنا نجيب على لسان أحد الشخصيات، عامر وجدي بهذه المدينة العريقة، أين تدور أحداث الرواية: «الاسكندرية أخيراً.. الاسكندرية قطر الندى، نفثه السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع. ثم ما يلبث أن يستأنف وصفه لهذه العمارة التي يقبع فيها البنسيون.. العمارة الضخمة الشاهقة تطالعك كوجه قديم، يستقر في ذاكرتك فأنت تعرفه ولكنه ينظر إلى لا شيء في لا مبالاة فلا يعرفك.»<sup>١١</sup>

## ٢. "زقاق المدق" وسيميائية العنوان:

أ- في فضاء الرواية:

تعد رواية زقاق المدق من أشهر ما كتب الأديب العالمي نجيب محفوظ، حتى اعتقد نقاد الفترة التي كتبت فيها الرواية، أنه لن يتمكن من كتابة عمل آخر، يرتقي إلى هذا الإبداع: «لقد أتى علي

٩- يوسف، القعيد، «البرجوازي الصغير»، محمد مندور، عبقرية المجهود.. مندور ناقداً للقصة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص. ٣٧٧.

١٠- ناجي، نجيب، نجيب محفوظ نوبل، كتاب تذكاري، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٨، ص. ١٧٣.

١١- نجيب، محفوظ، رواية ميرامار، المؤسسة الوطنية للكتاب المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٩، ص. ٧.

وقت ظننت فيه أن «نجيب محفوظ» قد بلغ غايته في زقاق المدق وأنه لن يخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام... لأن زقاق المدق كانت تمثل في رأي الظنون أقصى الخطوات الفنية بالنسبة إلى إمكاناته القصصية. ولهذا خيل إلي أن مواهب نجيب محفوظ قد تبلورت هنا وأخذت طابعها النهائي وتوقفت عند شوطها الأخير.»<sup>١٢</sup>

زقاق المدق حي من الأحياء الشعبية القديمة يسكنه أناس من مختلف الفئات الاجتماعية التي تكون المجتمع المصري، كل واحد له ما يقول عن الزقاق، فمنهم من يحبه مثل عباس الحلوصاحب صالون الحلاقة، والعم كامل صاحب دكان بسيط والمعلم كرشة صاحب المقهى الوحيد بالمدق، يأتيها السماركل ليلة كما يحب الزقاق أيضاً السيد رضوان الحسيني، وهو بمثابة شيخ المدق، يأتيه السكان ليستفسروا عن قضايا دينهم. وهذا الدكتور بوشي يلجأ إليه سكان المدق عند الحاجة (نزع أسنان أو تركيب طقم جديد)؛ فهو بمثابة جراح أسنان، رغم أنه لم يدرس الطب، وإنما اكتسب خبرته من المعالجة الميدانية. لولا أنه ارتكب رفقة زيطة- شاب أسود يقوم بتركيب العاهات الاصطناعية لمن يروم دخول عالم الشحاذة- جريمة نبش قبر أحد الأموات، فخلعوا له طقم أسنانه، لكن رجال الأمن فاجأهما، فكان مآلتهما السجن، واستنكار سكان الحي لجريمتهم النكراء.

أما حميدة، فهي فتاة لا تعرف لها أما ولا أبا، تبنتها سيدة تعرف بأم حميدة. تستأجران شقة عند السيدة سنية عضيبي التي أرادت أن تبحث لها عن عريس؛ لأن هذه الأخيرة كانت خاطبة الحي وناقلة لأخبار السوء. حميدة كانت تمقت «زقاق المدق» وساكنيه، وترى أنهم أناس أغبياء، لا يعرفون عن حياة التحضر والبذخ شيئاً. تمقت الزقاق بالقدر الذي كان يكرهه حسين كرشة، ابن المعلم كرشة، صاحب المقهى، وأخ حميدة بالرضاعة. حسين كرشة الذي كان يعمل بالجيش

١٢- المعداوي، أنور، بداية ونهاية، مجلة الرسالة، القاهرة، العدد. ٩٣٩، ١٩٥١، ص. ٥٦.

يستطع أن ينسى حميدة، والحالة التي آلت إليها، أصبح لا يفكر إلا في الانتقام. لم يكن من السهل عليه أن ينسى ويسلم بالواقع. وبينما كانت حميدة في حانة مع الجنود، رماها الحلو بزجاجة خمر فأصابها، حين ذاك انهال عليه الجنود بالضرب المبرح حتى أردوه قتيلا.

الهدف من وراء الرواية هو إظهار مخلفات الحرب العالمية الثانية على حياة المصريين البسطاء. أثر «نجيب محفوظ» أن يجعل الزقاق هو المتأثر بذلك، لأن مثل هذه الأحياء الشعبية يسلم أهلها بالسذاجة، والانغماس في لذات الحياة، فيغيب عنهم الوعي بالقضايا الجوهرية. والرواية كما يعرفها نجيب محفوظ: «فيها قسما تشترك فيها مع خان الخليلي وهي من أكثر الروايات عمقا في التعبير عن المأساة النابعة من الطبيعة الجغرافية»<sup>١٤</sup> يرى «نجيب محفوظ» في روايته «زقاق المدق»: «أن الأزمة العالمية في جوهرها هي أزمة أخلاق، ذلك أن المطامع ليست إلا شهوات رخيصة تتأجج في صدور قادة العالم... والفنان بذلك يشير إلى مأساة الإنسانية في الحربين العالميتين. وهي نفس نقطة الانطلاق التي بدأ منها «نجيب محفوظ» في روايته «زقاق المدق»<sup>١٥</sup>.

أما نهاية الرواية فهي نهاية شيقة ومفاجئة، ذلك أن كل من يقرأ الرواية يعتقد أن النهاية ستكون لصالح عباس الحلو؛ لأنه رجل طيب دمث الأخلاق، لكن ما حدث كان العكس؛ حيث مات الحلو تحت أقدام الجنود الإنجليزي، ونجت حميدة من ذلك كله بأعجوبة.

أراد نجيب محفوظ أن يقول من خلال هذا، بأن الناس الطيبين يسترهم التراب، في حين أن المجرمين يستمرون في العيش تحت وطأة الخزي والعار. فقد قتل الحلو ونجت حميدة ثم نقلت إلى المستشفى بين الحياة والموت. «جاءت الشرطة بعد

الإنجليزي، الموجود بمصر آنذاك، هروبا من حياة الزقاق البائسة. لكنه سرعان ما عاد رفقة زوجته وأخيها عبده، ليسكنوا الزقاق؛ بعد أن استغنوا عن خدماته، فغضب عليه أبوه غضبا لا يوصف، وأصبح حسين من يومها صاحب كأس لا يفارقها.

حميدة، البنت الشقية التي كانت تأمل في حياة أفضل غير حياة الزقاق. خطبها عباس الحلو وسافر للعمل في الجيش الإنجليزي لكي يجمع المال ويعود للزواج بها، لكن أماله خابت؛ فحين رجع وجد حميدة قد شقت طريقا آخر محفوظا بالمخاطر؛ هربت من الزقاق رفقة شاب يسكن الأحياء الراقية، خدعها بالمال، ورمى بها فريسة بين أيدي الجنود الإنجليزي، فعدت عريضة عاهرة غير عابثة بما يجري من حولها. كما تمنها السيد سليم علوان - وهو صاحب وكالة بالمدق - أن تكون زوجته رغم أنه متزوج، وأب لثلاثة أولاد كلهم يحتلون مراكز حساسة. لكن المرض نغص عيشه، فغدا لا يفكر إلا في الموت. و: «رغم أن الرواية تكاد تتركز على متابعة الوجدان الداخلي لحميدة في تمرداها على الزقاق، وتطلعها إلى حياة أرحب وأفسح، إلا أنها تتعمق كذلك في المشاعر الداخلية لكثير من الشخصيات الأخرى، بل تنجح في بناء أكثر من نمط اجتماعي متكامل»<sup>١٦</sup>.

ومن هذه الشخصيات نجد الشيخ درويش الذي لا ينطق إلا بالحكمة. كان على سالف عهده أستاذ اللغة الإنجليزية لكنه ترك عمله، وهجر أهله، وزهد في الدنيا، وأصبح شاردا تائها، حتى لقبه سكان الزقاق بولي من أولياء الله الصالحين، يتحاشون غضبه، ويكنون له كل المودة والمحبة، وكذا الاحترام. في الجانب الآخر تطالعنا شخصية المعلمة حسنيه الفرانة زوجة جعده الفران، وصاحبة الأمر والنهي وإلا فالويل لزوجها من ضرباتها القوية، غير عابثة بسكان الزقاق، طالبين منها العفو والرحمة. عباس الحلو الذي لم

١٤- رشيد، الذواوي، أحاديث في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص. ٣٨  
١٥- غالي، شكري، معنى المأساة في الرواية العربية، الجزء الأول، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠، ص. ٤٣

١٢- العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص. ٣٥

تؤديها إلا شخصيات غير عادية، تدنو- ما أمكن- من البطولة، وقادرة على إقناع المتلقي بقدرتها على تجسيد هذا الفعل النموذجي، ولهذا النوع من التشخيص كتابه المشهورون: نجيب محفوظ، حنا مينه، عبد الرحمن منيف، وغيرهم كثير.<sup>١٨</sup>

#### ب. العنوان سيمائياً:

الزقاق، وهو مفرد أزقة، يعبر عن مكان ضيق، داخل أماكن سكنية تعج بالسكان، وهو في الغالب يطلق على المناطق الشعبية، وذلك لأنه يغلب على أعمال الأديب الاهتمام بالأماكن الشعبية؛ لأنها ربما، تجعله يعود بذاكرته الروائية إلى حنينه المرتبط بأماكن ولادته ولعبه بالإضافة إلى ما كان يجد في هذه الأماكن من مواضيع اجتماعية، أثناء جلوسه في مقاهيها؛ كمقهى الفيشاوي وغيره، وهو يستمع إلى حكايات يرويها أناس بسطاء يقضون أوقاتهم في اللعب وحساء الشاي، المشروب المفضل لدى المصريين. ويوصفه واحداً من أبناء الحارة الشعبية المصرية: «كان يجنح نحو شعبية الأمكنة حيث يقول ...» زقاق «ولا يقول مثلاً: شارع» أو «نهج»، و يقول في موطن آخر: «حارتنا»، ولا يقول مثلاً «حيناً» لأن هذه الأمكنة هي التي كان يتخذ منها مجالاً «لمختبره» السردى، حيث كان يعايش أبسط الشخصيات درجة اجتماعية ويبني عليها إشكاليته الروائية.<sup>١٩</sup>

#### خاتمة:

زقاق المدق هي واحدة من روايات صاحب أكبر جائزة علمية في الأدب، لم ينلها قبله ولا بعده أديب عربي، أردنا بدراستها إبراز قيمتها الأدبية، والاجتماعية، معتمدين في ذلك المنهج السيميائي الذي نأمل أن نكون قد وفقنا في تطبيقه على هذا النص المحفوظي الممتع في قراءته، المفيد في معرفة الواقع المصري داخل الأحياء الشعبية، في فترة من فترات تاريخه. لقد تناولت في دراستنا

١٨- محمد، الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص. ٢٠٠

١٩- عبد الملك، مرتاض، تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص. ٢٧٧

نفاذ القضاء، وضربوا حول الحانة حصاراً. وما عسى أن يفيد الحصار؟ وحملوا جثته إلى قصر العيني. ونقلوا العاهرة (حميدة) إلى الإسعاف. فسأل المعلم باهتمام:

— وهل قتلت؟ ...

فأجاب الشاب والحقد يأكل رأسه:

— لا أظن... لا أظن الضربة كانت قاتلة؟ ضاع الفتى هدراً.<sup>١٦</sup>

ختم «نجيب محفوظ»، أحداث روايته بالحديث عن عودة «رضوان الحسيني» من البقاع المقدسة، واستعداد الزقاق لاستقباله. ولعلها نهاية رمزية يهدف الكاتب من ورائها، إلى تجديد الأمل؛ فهي ترمز إلى قرب انتهاء مأساة الشعب المصري، وجلاء القوى الاستعمارية.

هذا ببساطة شديدة، وبطريقة موجزة ما حوته رواية "زقاق المدق" التي أراد من خلالها «نجيب محفوظ» أن يعرفنا عن جوانب عديدة من حياة أناس بسطاء يسكنون أزقة المدق: «فالزقاق رغم ضيقه، ورغم ما يمتلئ به من فقر وعوز، إلا أنه هادئ محدود الرذائل. ثم لا يلبث العالم الكبير أن يقبل عليه في أشكال متنوعة، مرة عن طريق الأورنس الإنجليزي، كقوة جاذبة تغري بالكسب، ومرة أخرى عن طريق الانتخابات التي يأتي معها القواد فرج إبراهيم الذي يقود حميدة إلى عالم الرذيلة.»<sup>١٧</sup>

الرواية في مجملها عبارة عن مجموعة من الأحداث تدور بالزقاق، ويشارك فيها معظم سكانه. يسردها نجيب محفوظ بطريقته الخاصة. وما المدق إلا ذلك العالم المصغر الذي عبر من ورائه الأديب عن فئة تمثل أكبر شرائح مصر والعالم ألا وهي فئة البسطاء. « ذلك أن السارد ينتقي من واقع الحياة أكثر الأحداث في علاقتها بالشخص والمكان والزمان، اختزالاً لحياة الناس بأفراحها وأحزانها وبطولاتها وتناقضاتها، وهي أفعال لا

١٦- نجيب، محفوظ، زقاق المدق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٩، ص. ٢١١

١٧- العالم، محمود أمين، المرجع السابق، ص. ٢٥-٣٦



طه حسين، نقد وإصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦.

العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

عامر الحلواني، سيميائية الأرض والهوية في قصيدة «حصار» لفوزية العلوي، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج. ٢٩، ١٩٩٨.

عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥.

غالي شكري، المنتمي دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.

محمد فكري، الجزائر، العنوان وسيميوطيقا الاتصال. دراسة أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

المعداوي، أنور، مقال عن بداية ونهاية، مجلة الرسالة، القاهرة، العدد، ٩٣٩، ١٩٥١.

ناجي نجيب، نجيب محفوظ نوبل، كتاب تذكاري، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٨.

نجيب محفوظ، رواية ميرامار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٩.

نجيب محفوظ، زقاق المدق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٩.

يوسف القعيد، «البرجوازي الصغير»، محمد مندور، عبقرية المجهود... مندور ناقدا للقصّة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

هذه سيميائية العنوان، غير أن قراءة الرواية، وبشكل متأن، أفادنا في اكتشاف عوالم أخرى يمكن التفرقة إليها، في أبحاث لاحقة، مثل: سيميائية الروائع والوجه والصوت والألوان، وغيرها.

الرواية عند نجيب محفوظ-على نحو ما تناولته "زقاق المدق"، ليست مجرد تجميع لشخص واختيار مكان وزمان من أجل تموقعها. العمل الروائي المحفوظي يرتكز على إبراز المكونات النفسية، والاجتماعية للأفراد الحقيقيين، داخل إطار العمل الروائي، باعتماد نماذج لشخصيات مشابهين لما عرفه في الواقع، فهي: "لديه سجل واسع للأصدقاء النفسية، والاجتماعية والأنثروبولوجية والجمالية، فهي يمكن أن تقوم بدور الشاهد المعروف، والمشرّف السياسي، وخدمة الأطفال... إن الرواية عنده ليست إلا تقطيرا للعالم الذي نعيش فيه، وتركيزا له، وهي تلهث خلف أعماق رغبات الإنسان."<sup>٢٠</sup>

### قائمة المراجع والدوريات:

أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

جمال الغيطاني، شريط مصور حول زقاق المدق، قناة دريم المصرية، يوم ١٣-١٠-٢٠١٠، على الساعة ١٦.

رشيد، الذواوي "أحاديث في الأدب" الهيئة المصرية العامة للكتاب "القاهرة" ١٩٨٦.

سعيد الحنصالي، بداية ونهاية.. قراءة وتحليل، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٥.

صلاح، فضل، نجيب محفوظ والرواية التاريخية، الرواية والتاريخ، مجموعة باحثين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ٢٠٠٦.

٢٠- أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ١٩٩١، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص. ٨-٩.